المحاضرة الرابعة
أوضاع بلدان المغرب أواخر القرن 15 وأوائل السادس عشر
2- الأوضاع في المغرب الأقصى –الدولة المرينية

منذ عام 1358 بدأت الدولة المرينية تتهاوى سريعا بتولي الحكم سلاطين دون سن الرشد ما بين (1358-1374) و 1393-1458)، كانوا بلا رأي ، لقد وضع هؤلاء تحت وصاية أقربائهم من الوطاسيين ، كما قام أصحاب غرناطة بتولي دور الوصاية (1373- 1393) ، آخر السلاطين هو عبد الحق بن عثمان (1420-1465) استطاع أن يتخلص من أقربائه الوطاسيين بعد أن أقام لهم مذبحة كبيرة 1458، ولم يدم الأمر على حاله وقام سكان فاس بثورة على المرينيين ثم صار أمر المغرب بعد في أيدي الوطاسيين.

لقد ساهمت عدة عوامل في ضعف الدولة المرينية داخلية وخارجية وبالتالي سقوطها وهي كما يلي:

1- **النزاع بين الأمراء المرينيين على العرش:** بدأ هذا النزاع بتمرد أبي عنان على سلطة والده أبي الحسن ، إن هذه الثورة من ولد على والده كانت أسوأ مثل ضرب لأدعياء العرش والثوار على الدولة ، وبما أنه لم يكن لنبي مرين شأن سابقيهم أيضا نظام قار لولاية العهد ، فقد كان كل ملك يتولى العرش يخشى على ملكه من ثورات يقوم بها أمراء الأسرة المالكة، فينفي أخطرهم شأنا إلى الأندلس ، وتكون تلك أسوأ وسيلة للمحافظة على وحدة العرش، حيث ينتهز بني الأحمر أقل فرصة ضعف من بين مرين ليسلطوا عليهم بعض من تحت أيديهم من أمراء بني مرين، وهكذا أمد أبو الحجاج أبا الفضل بجيش يحارب به أخاه أبا عنان الذي كان قد نفته إلى الأندلس ، وقد يلجأ الأمراء إلى بني عبد الواد أو بني حفص أو ملوك قشتالة ، فإن أبا سالم دخل المغرب مخفورا بأسطول ملك قشتالة والتجأ الأمير عبد الحليم إلى السلطان أبي حمو الذي ساعده على دخول سجلماسة في عهد أبي زيان .

2- **ضعف شخصية الملوك بعد أبي عنان (1348- 1358م)**: إذا استثنينا ملكين بدرت منهما محاولات لإعادة مجد الدولة وهما أبو سالم وأبو فارس، وكلاهما ولي الملك بعد أبي عنان، فإن باقي الملوك المتأخرين كانوا يتفاوضون ضعفا من حيث صلاحيتهم لتحمل أعباء الدولة، فقد بويع أبو بكر السعيد صبيا صغيرا ، وكان أبو عمر تاشفين ضعيف العقل، أما أبو زيان محمد فلم يكن له نفوذ يذكر ، وبويع أبو زيان الثاني طفلا لم يحتلم بعد، وأدى أبو سعيد عثمان طاعته لبني أبي حفص، وذبح عبد الحق وزراءه الوطاسيين لينصب عوضهم حكومة من اليهود.

3- **استبداد الوزراء وفساد الحكومة:** من أخطر العوامل الداخلية التي أدت إلى سقوط الدولة المرينية ، فطالما كانت السلطة الأساسية بيد الملوك والوزراء الصالحين المتعاونين مع الملوك على خير البلاد . أما والسلطة قد تحولت كلها أو معظمها إلى أيدي وزراء أغلبهم ينظر إلى الملوك نظرة الأوصياء الجائرين إلى اليتامى المحجورين، فإن ثقة الشعب قد ضعقت في هؤلاء وأولئك، فكان ينتهز أول فرصة تسنح حتى يمد يده لأي شخص يخلصه من جبروت الوزراء وغفلة الملوك . وكانت أسرة **الفودودي** من أكثر كبار الموظفين خطرا على الدولة، وهكذا خنق أحدهم **أبا عنان** وأغرق **السعيد** في البحر وخلع **أبا تاشفين** ثم نصب أبا زيان الأول الذي لم يلبث أن لقي حتفه خنقا على يد هذا الوزير (**عمر**). وكان من أخطر الوزراء نفوذا **سليمان بن داود** الذي عمل على قتل ابن الخطيب ومسعود بن رحو الذي دبر اغتيال عدد من الوزراء، ثم كانت أسرة الوطاسيين التي لم يبق معها الملوك المتأخرين أي نفوذ.

4- ضعف الروح الحربية: لعل أقوى برهان على فقدان الملوك المتأخرين ثقتهم بالجيش الوطني اعتمادهم على الجيش النصراني الذي وكلوا إليه حمايتهم وحماية قصورهم، بل ومقاومة المواطنين أحيانا عند تمردهم عوضا عن الجيش الوطني. وهكذا فإن الجيش النصراني ساعد الوزير عمر الفودودي على خلع السعيد ، وأعلن خلع أبي سالم بتأييد غارسيا قائد هذا الجيش، كما أن قتله تم بيد أحد أفراده، وهم غارسيا الذي هم بالفتك بالوزير عمر لولا أن هذا بطش به قبله. ومن الطبيعي أن تلعب القوى النصرانية دورا فعالا في خلع الملوك وتنصيبهم ما دام هؤلاء قد عهدوا إليها بالمحافظة على سلامتهم .

5- التدخل المسيحي في سياسية الدولة المرينية: شكل هذا التدخل مظاهر مختلفة ، بعضها اتخذ صبغة التأييد المعنوي لتنصيب ملك معين كما كان التدخل أحيانا عن طريق إمدادات عسكرية، ثم انتهى بالتدخل المباشر المسلح. فأبو سالم لقي تشجيعا كبيرا من ملك قشتالة ليتولى عرش المغرب بعد أبي بكر السعيد، واستمد الوزير مسعود القشتاليين أيضا في عهد أبي زيان الثالث حتى يناوشوا ابن الأحمر الذي كان يتدخل بدوره في تنصيب وعزل ملوك بني مرين . وتم احتلال سبتة سنة 1415على يد البرتغال، فعجز بنو مرين عن استعادتها وتكفلت المقاومة الشعبية بمناوشة البرتغال الحرب من آن إلى آخر، ومنذ احتلال سبتة والتدخل المسيحي يتطور ويتسع مداه شيئا فشيئا والدول النصرانية تتكالب على التراب المغربي بمختلف الوسائل.

6- الحرب ضد بني عبد الواد والحفصيين: في معظم الجهود في الميدان العسكري إلى محاولة السيطرة على الدولة الزيانية والدولة الحفصية ، فكان النجاح في جملته محدودا وكان الفشل في كثير من الأحيان يكلف الدولة المرينية خسائر كثيرة في الأموال والأرواح. وقد اصطدموا بمقاومة عنيفة من بين عبد الواد ، كما اصطدموا بنفور الحفصيين.

7- **تدخل بني الأحمر:** بدأ تدخل بني الأحمر في شؤون المغرب بنحو قرن مضى قبل سقوط الدولة المرينية. ففي عهد أبي زيان الثاني (776-774هـ) أمد ابن الأحمر أميرا ثائرا بأسطول بحجة امتناع الحكومة المغربية من تسليم ابن الخطيب كما ساعد أحمد ابن أبي سالم على تولي الملك، وخشي هذا نفوذه فبطش بابن الخطيب، ثم عمل على خلع هذا السلطان واستدعائه إلى الأندلس وتوليته موسى بن أبي عنان مكانه، حتى إذا توفي هذا وخلفه ابن أخته المنتصر بن أبي زيان، تعاون مع الوزير مسعود علة خلعه وهو بعد صبي، ثم أطلقوا سراح أبي العباس ليستعيد ملكه بالمغرب، وفي الواقع بدأ تدخل بني الأحمر في المغرب على عهد يوسف حيث استولى بنو الأحمر على سبتة سنة 703 هـ، ولكنها لم تلبث تحت أيديهم أكثر من ست سنوات. لقد كان تدخل بني الأحمر في شؤون الدولة المرينية قد أسقط كثير من هيبة الدولة المرينية.